

التبيان في تفسير القرآن

(503) إلى نفوسهم لعجزهم عن ذلك، فلا بد من الاعتراف بأن الله هو الخالق لذلك، وإذا ثبت أنه قادر على خلق الولد من النطفة وجب أن يكون قادراً على إعادته بعد موته لأنه مثله، وليس بأبعد منه، يقال: أمني يمني، ومنى يمني، بمعنى واحد، وكذلك أمذى، ومذى - في قول الفراء. وقوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) فالتقدير ترتيب الأمور على مقدار فإن الله تعالى أجرى الموت بين العباد على مقدار ما تقتضيه الحكمة، فانما أجراه الحكيم على ذلك المقدار. وقوله (وما نحن بمسبوقين) أي لسنا بمسبوقين في تدبيرنا، لأن الأمور كلها في مقدور الله وسلطانه على ما يصح ويجوز فيما مكن منه أو أعجز عنه. وقال مجاهد: تقدير الموت بالتعجيل لقوم والتأخير لغيرهم. وقيل (نحن قدرنا بينكم الموت) بأن كتبناه على مقدار، لا زيادة فيه ولا نقصان. ويقال: قدرت الشيء مخففاً، وقدرته مثقلاً بمعنى واحد. وقوله (على أن نبذل أمثالكم) فالتبديل جعل الشيء موضع غيره، فتبديل الحكمة بالحكمة صواب وتبديل الحكمة بخلافها خطأ وسفه، فعلى هذا ينشئ الله قوماً بعد قوم، لأن المصلحة تقتضي ذلك، والحكمة توجب إنشاءهم في وقت وإما تتهم في وقت آخر. وإنشأؤهم بعد ذلك للحساب والثواب والعقاب. وقيل: إن معنى (على أن نبذل) التبديل أي لنبدل أمثالكم، وبين (على) و (اللام) فرق، لأنه يجوز أن يقال: عمله على قبحه، ولا يجوز عمله لقبحه. وتعليم الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية فيه تعليم القياس. وقوله (وننشئكم فيما لا تعلمون) معناه فيما لا تعلمون من الهيات والصور المختلفة، لأن المؤمن يخلق على أحسن صورة، والكافر على أقبح صورة. وقيل: